

## المجتمع السعيد في ظل الإسلام



www.balagh.com

المجتمع السعيد هو الذي تنحكم فيه ثلاثة أصول، هي التآلف والتعاون وعدم الاعتداء. وهذه الأصول الثلاثة هي الفوائد الاجتماعية للإسلام. فهو أوّلاً يسعى لتأليف القلوب، وتكوين الوحدة الفكرية والشعور بالأخوة بين المسلمين. ولابدّ أن نعلم إنّ الصعيد المادي لا يجمع اشتات الناس فلو إنّ كلّ ما في الفضاء من نجوم وكواكب، وجميع ما على الأرض من ثروة وزينة، وما في الأرض من كنوز ومناجم ومنابع وزعت بين الناس ليكفوا عن التناحر والاشتباك لما فعلوا، لأنّ المادة هي التي تثير الجشع، وتغري إلى الصراع. ولو قسمت الأرض وكلما انبتت بين إنسانين لحنّ كلّ إلى السيطرة على نصيب الآخر، وتلاحم القتال بينهما، حتى ينتصر الأقوى عضداً أو فكراً على الأضعف. فالمادة وقود الصراع، وليست مادة التلاحم والتوفيق كما أكّد ذلك القرآن الكريم قائلاً: (هُوَ الَّذِي آتَىٰ ذِكْرَكَ بِذِكْرِهِ وَبِالْأَلْمُومِينَ\* وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنزَلْنَاهُ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَنَّا بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال/ 62-63). فليست المادة، وإنما □ وحده الذي يؤلف القلوب، حيث يبعث في جميع القلوب إيماناً واحداً ويوظف في كافة الأدمغة فكراً واحداً ويرسل في مختلف الناس شعوراً واحداً، ويوجههم إلى سلوك مشترك ويعاقبهم على الحقد والتعادي والتناذب، ويثيبهم على التآلف والتراحم والتواد. وإذا اندمجت اتجاهات الناس في خط واحد، وهدف واحد، ومُنَعُوا عن المناقضات في الطريق، لا يجدون إلا أن يتآلفوا. وفي هذا المجال لا يستطيع أي شيء أن يؤدي رسالة الدين، ولو فقد الدين أصيب الاجتماع بانشقاقات متواترة خطيرة، لا تتلاحم على الدهر، ولو انفقت ما في الأرض جميعاً. ولا شيء سوى □، يستطيع أن يجمع الناس على الهدى، دون أن يكون متميزاً إلى فرد أو فئة. ومتى وجد مجتمع استغنى من الدين، ثمّ عاش موحداً لا تمزقه المناقضات؟ ولقد استغنت مجتمعات عن الدين، ثمّ حاولت أن تنتزع من صميمها عوامل لتجميع كلمتها، كالذِّجَار واللغة والتأريخ والوطن والمبدأ والمصير ولكنها أخفقت دون تأليف القلوب. وغاية نجاحها كان في توحيد بعض الطواهر والصيغ الجماعية، فترات مؤقتة فحسب، بينما الدين يجعل □ الهدف الأسمى للجميع ويعتبر بقية المقاصد فرعية نابعة من هذا الهدف ودائماً يشلّ في الأفراد حبّ الاستئثار وعبادة الذات حتى تجمعهم وحدة معنوية جبارة، يسري مفعولها إلى الأفكار والتصورات والآمال، وغير □ جدير بتمزيق الشمل الواحد، ومطاردة أعضائه في الظلام. (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ فِي الظُّلُمَاتِ هُمْ يُخْرَجُونَ هُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة/ 257). ويظهر في الآية لفظ (النور) مفرداً، فيما وردت كلمة الظلمات بصيغة الجمع لتدل على أنّ طريق □ نور واحد، مهما امتد وتوسع، وأما لغير □ فطرق متناقضة، وكلها ظلمات وتناحر وتجادب، كما تقول الآية الكريمة: (أَمِنَ الرَّسُولُ بَرْمًا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

